تمظهرات استعلاء المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية.

Manifestations of women's superiority in Algerian popular proverbs.

إيمان بن يوسف

جامعة جيجل 18000(الجزائر)، imane.benyoucef@univ-jijel.dz

محبوبة حبيلة

جامعة جيجل 18000(الجزائر)، mahbouba.habila@univ-jijel.dz

مخبر اللّغة وتحليل الخطاب

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2025 / 01 / 23	2025 / 02 / 16	2025 / 03 / 15

مُلخّص البحث

تسعى هذه الورقة البحثيّة تقديم دراسة لأحد أهم مجالات الأدب الشّعبي بالتّحليل والشّرح والاستدلال والتي تتضمن دراسة مدى فاعلية الأمثال الشّعبية الجزائريّة في تبيان مكانة المرأة في المجتمع وفوقيتها، وتقديم تمظهرات استعلائها في مختلف مجالات الحياة الاجتماعيّة و الأسريّة من خلال تصنيف معاني هذه الأمثال ضمن حقول دلاليّة تبين دلالتها ومعانيه الضمنية الظاهريّة الفهم والباطنيّة المعنى، كما تهدف إلى توضيح وشرح معاني الأمثال الفعليّة لمكانة المرأة في المجتمع والتي لا تتنافى مع قيم وتعاليم المجتمع والدين، وذلك بتقديم نماذج متداولة وشائعة الاستعمال لبعض الأمثال الشعبيّة.

الكلمات المفاتيح: الأدب الشّعبي، المثل الشّعبي، المرأة، الفوقيّة، مكانة.

Abstract

This research paper aims to present a study of one of the most important areas of popular literature through analysis, explanation, and inference, which includes studying the effectiveness of Algerian popular proverbs in demonstrating the status of women in society and their superiority, and presenting demonstrations of their superiority in various areas of social life by classifying these proverbs in the form of semantic fields that show their significance. Its implicit meanings are external understanding and internal meanings. It also aims to clarify and explain the actual meanings of women's position in society, which are not incompatible with the values and teachings of society and religion, by presenting common and commonly used models.

Keywords: popular literature, popular proverbs, women, superiority, status.

1.مقدمة:

يعدّ الأدب الشّعبي أحد أهم السّبل المنتجة للتّعبير عن أمور حياة الشّعوب والتّبادل الفكري والثّقافي بين أفراد المجتمع الواحد وذلك في قالب لغوي ورمزي متعارف عليه ومفهوم لدى مختلف فئاته، ومن بين أفضل أنساق التّعبير الشفهي في الأدب الشّعبي التي تتضمن التّعبير عن أغراض القوم في إطار قيم وعادات وأخلاق هذا المجتمع ، تبرز الأمثال الشعبية كمرآة تعكس ثقافة الشّعوب وتقاليدها وقيمها وأخلاقها؛ وتُجسّد في طياتها الحكمة المتوارثة عبر الأجيال والآداب العامة المنظّمة والمنسّقة للأطر الفكرية والثّقافية و الأخلاقية للمجتمع، وتُظهر الأمثال الشّعبية صورة متباينة عن مختلف الأنساق الأخرى؛ وذلك بتضمين الأفكار والمعاني ضمن جملة يراد بها التّعبير عن موقف أو قيم تمس التّعبير عن أغراض مختلف فئات المجتمع وأفراده، أمّا عن الأدب والأمثال الشّعبية الجزائرية فقد خصّت المرأة الجزائرية بجملة من الأمثال تبرز في بعضها حكمتها وسلطتها وقوتها وتأثيرها كفرد فعال في المجتمع وتجاوزت بعضها لتشمل مظاهر فوقيتها واستعلاءها عن الرجل في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية والأسرية؛ ومن هنا انبثقت إشكالية الدّراسة التي تمحورت في:

- ما مدى تعبير الأمثال الشّعبية الجزائرية عن دور وأهمية المرأة في المجتمع الجزائري؟
- فيما تتمثّل مظاهر فوقية واستعلاء المرأة في المثل الشّعبي الجزائري؟
- ما هي أبرز الحقول الدلالية التي صبّت فيها معاني تعبيرات الأمثال عن فوقية المرأة الجزائرية؟

وتنبع فرضية الدّراسة من الجزئية البحثية التي تحاول إثبات مظاهر هذه الفوقية والاستعلاء في الأمثال، وتحاول إبراز مكانة المرأة في المجتمع الجزائري، و تثبت تربعها على عرش الريادة والاهتمام في المجتمع الجزائري في إطار يتوافق مع تعاليم الدّين الإسلامي عكس ما يروّج له بين العامة.

وتهدف الدراسة إلى:

- تبيان مظاهر فوقية المرأة في الأمثال الشّعبية الجزائرية.
- توضيح وتصحيح الإطار المفاهيمي ومعاني بعض الأمثال الشّعبية عن المرأة؛ والتي تُظهرها ككائن ضعيف خاضع يتحكم الرّجل في كل أموره ويقوده ويجعله حبيس للمنزل، بينما المفهوم الفعلي والضمني يوحي عكس ذلك.
- تصنيف معاني بعض الأمثال ضمن حقول دلالية تبرز دور ومكانة وأهمية المرأة في المجتمع الجزائري، وريادتها وموقعها الفعال فيه.
- تبيان مدى أهميّة الأمثال في حفظ مكانة المرأة في المجتمع الجزائري.

وقد تمت هذه الدّراسة وفق المنهج الوصفي التّحليلي كونها دراسة تطبيقية تضمّنت عرض بعض الأمثال الشّعبية عن المرأة وشرحها وتحليلها وتصنيفها ضمن حقول دلالية لها دلالة على معاني الفوقية والاستعلاء والريادة والقيادة.

2.نظرة عامة عن مفهوم الأدب الشّعبي:

يعدّ الأدب الشّعبي أحد أوجه التراث الشّعبي الذي يمثل مظاهر الحياة الشّعبية قديمها وحديثها ومستقبلها، وهو مصطلح يقابل مصطلح الفلكلور عند الغرب، إذ إنّه يستعمل للتّعبير عن الملكات الخلاّقة التي تصدر عن شخصية فردية، وبخاصة في المجالات التي يتواصل فيها بالكلام الشّفوي، وهو يتألّف من الحكايات والأغاني والأمثال والخرافة والأساطير وزخات من الحكم... وقد أثّر مضمون الأدب الشّعبي أيما تأثير في بعض النّاس الذين استيقنوا أنّه يمس عادة الجوانب القومية التي تهم الشّعب كله وتعبّر عن أغراضهم، كما وجدوا أنّ فكرة إخضاع الأدب والفنون الشّعبية للدّراسة المنهجية انبثقت -عند كل الأمم- نتيجة ثوران فورات قومية أو مشاعر وطنيّة؛ وهذا ما أدى إلى وسمه بأنّه ذو طابع قومي؛ أي الأدب الذي يتناول الموضوعات القوميّة التي تهم جميع أفراد الشّعب، ولكي يقنعوا أنفسهم بصحّة تعريفهم أطلقوا عليه اسم "الأدب الشعبي؛ والأدب الشعبي على أساس أنّ الأول هو المعروف القائل، والثّاني هو المجهول القائل. واستمراراً مع هذه التّعريفات التي أهملت الأدب العامي أو أدمجته في الأدب الشّعبي نلتقي بتعريف يقيم التّفرقة بين الأدبيين الرّسمي والشّعبي على أساس وحدة المؤلف؛ أي بمعني آخر يكون الأدب الرّسمي عنده وحيد المؤلّف، في حين أنّ الأدب الشّعبي هو الذي يشترك في تأليفه أكثر من مؤلف، وهذا التّعريف يعتبر في الواقع تحريفاً طفيفاً للتّعريف السّابق، حيث أن الجهل بالمؤلّف يمكن أن يدلّ على تعدّده، وتعدّد المؤلّف يمكن أن يؤدي إلى الجهل به[1].

كما يمكن أن نميّز الأدب الشّعبي بأنّه؛ ذلك الإنتاج الذي يصدر عن الشّعب فيعبر عن ذاتية هذا الشّعب ويعكس تفكيره واتّجاهاته، ويرتبط شكلا ومضمونا بقضايا هذا الشّعب وموروثه الفكري والثّقافي والأمور الحياتية المتعلقة بالمجتمعات، فهو يمتاز بالتّنوع والاختلاف والتّجديد والارتباط بالتّعبيرات اللغوية والرّمزية المعبرة عن أغراض المجتمع والتي تصبّ في قوالب مختلفة كالقصص والألغاز والأساطير والنّكت، والأمثال الشعبية، وتعدّ هذه الأخيرة الأكثر انتشارا لقصر ألفاظها وسهولة فهمها وتضمنّها معاني ضمنية ذات فهم سطحي وعميق، وكثرة تداولها وبساطة تعبيراتها وتناسبها مع مقام القول.

أ) ماهية الأمثال الشعبية:

تُعدّ الأمثال الشّعبية مرآة تعكس ثقافة المجتمع وقيمه، وتُسلّط الضّوء على العلاقات بين أفراده، حيث يتوزّع الأصل السامي لكلمة "مثل" حسب اشتقاقها بين معنيين معني "المماثلة" ومعنى "العرض في صورة حسية"؛ ويرى بعض المستشرقين أنّ جذر الكلمة التّاريخي هو من الكلمة المعربّة عن اللّغة الأرامية[2].

فمن المعروف أنّ الأمثال الشّعبية هي سياقات لفظية أو معنوية تتضمّن معاني ورموز لغويّة وغير لغويّة وفكرية توحي وتعبرّ عن قضايا وأغراض وأفهام يراد التّواصل بها بين أفراد المجتمع، تضرب قصد توضيح وتضمين تعبيرات وقيم محددة. والأمثال الشّعبية الجزائرية هي عبارات شديدة التّلخيص وشديدة التّهذيب لها سحرها الخاص في جذب مستمعيها، وهي أيضا مرأة تعكس تفكير الشّعوب، وتسهم بشكل أو بآخر في تشكيل ثقافة المجتمع وفلسفته وسلوكه، وتدفع الفرد في الغالب إلى الإيجابية والتّفاعل مع الآخر،

وعليه يمكن اعتبار البحث في الأمثال الشّعبية بحثاً في السلوك العام الأفراد المجتمع ونشاطاتهم وأساليب تفكيرهم[3].

قدّم الدّارس "محمد توفيق أبو علي" تعريفا يكاد يكون ملمّا بماهية المثل وأهميّته في حياة الشّعوب، إذ يقول: "الأمثال في حياة الشعوب لها بعدان بعد سكوني، وبعد متحرّك، وكلاهما مرتبط بالآخر أيما ارتباط. فبالنسبة إلى البعد الأول: تبدو الأمثال مرأة الشّعوب التي ترتسم فيها تجاربها، وصفوة جزء كبير من حضارتها، وأهميّتها تتجلى في أن الزّمن لا يكدر صفو نقائها إلا نادرا، فتنتقل عبر العصور، حاملة معها وشم كل عصر معبرة عنه بصدق، ناقلة آثاره إلى سواه دون تزييف ولا تصنّع وبالنسبة إلى البعد الثّاني نرى الأمثال ليست متلقيا فحسب، بل تغدو قطبا فاعلا في حياة النّاس؛ وفي كثير من المجتمعات والحقب التّاريخية تصادر الأمثال دور الأيديولوجيا وتدخل في عمق الأنا الأعلى، فتفعل فيهما فعلها البليغ وتوجههما كما تشاء. والعلاقة بين البعدين علاقة جدلية لا سبيل إلى الفكاك منها[4].

يتبيّن أنّ المثل الشّعبي متنوع التّراكيب، فقد تكون قصيرة أو طويلة، وقد تكون مرسلة، وقد تكون موقّعة (فيها سجع)؛ فمعظم الأمثال الشّعبية الجزائرية والتي تنتمي إلى التّراث العربي العام ،اعتمدت الإيقاع الصّوتي الذي كانوا يطلقون عليه السجع[5] ، كما يمكن أن تكون متسلسلة أو متباعدة، وقد يحدث أن تكون مصحوبة بجمل معترضة و مكرّرة، أو يكون تكوينها منطقيا يربط النّتيجة بالمقدّمة، و شكل المثل فنّا من فنون القول الشّعبي الجزائري، ونصّا شفويّا له مورد ومضرب، فهو قول قصير مشبع بالذّكاء والحكمة له طرفان أساسان هما القائل أو النّاقل والمستمع أو المتلقي وبيئة وهي مقام القول.

ب) خصائص المثل الشعبي الجزائري:

يمتاز المثل الشّعبي كغيره من فنون الأدب الشّعبي بمجموعة من الخصائص والمميّزات التي تحدّد كيانه وتميّزه عن غيره من الأشكال الأخرى، وهي تشترك في أكثرها مع عناصر الأدب الشّعبي الأخرى، ومن أهم هذه الخصائص نذكر:

- يتميّز المثل بأنّه عام وبسيط، حيث يعرفه "الفارابي" في كتابه "ديوان الأدب" بقوله: "أنّه ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه وفي معناه؛ حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السّراء والضّراء، واستدروا به الممتنع من الدّر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرّجوا به عن الكرب والكربة، وهو من أبلغ الحكمة لأنّ النّاس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النّفاسة"[6]، فهو شامل المعنى ومتداول لدى مختلف طبقات المجتمع، كثير التّداول والتّناقل فيما بينهم في مختلف الأحوال والمواقف حتى وصف ببالغ الحكمة، ونقلا عن "الميداني" ورد خبر من ابن السّكيت: "المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه، معنى ذلك اللفظ شبّهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره"[7]. أي وجود تضارب وتناقض وتوافق ما بين لفظ ومعنى المضروب به المثل ومعناه.
- المثل الشّعبي يمثل فلسفة الفرد والمجتمع في الحياة؛ وهي تنقل لنا بصورة أمينة الحياة الاجتماعية للشّعوب في فترات مختلفة، كاشفة النّقاب عن مكنونات الواقع الاجتماعي وحالاته.

- المثل الشّعبي لا يخضع لعملية التّدوين أثناء نشأته الأولى، فهو يلقى اعتباطا لمناسبته مقام الحال ثم بعد أن يتم تداوله وتناقل في المراحل التّالية ويستكمل نموّه على أيدي النّاس يحفظ ويدوّن.
- يقتضي المثل الشّعبي نوعا من الإيجاز بحيث يدلّ قليل الكلام فيه على الكثير من القول أو المعنى أو الوصف.
- يحمل المثل الشّعبي في طياته أفكارا ومواقف؛ حيث يقوم بعرض الفكرة أو الموقف ثم يطرح المجال للغير مفتوحا سواء بتقبل النّصيحة أو التّوجيه، أو رفضهما.
- تتميّز الأمثال بلطافة الإيقاع السّمعي والإيقاع المتجسّد في الاعتدال والتّناسب بين الأجزاء، وفي التّقديم والتّأخير والسّجع والجناس.
- المثل الشّعبي ينبثق من بين جميع طبقات الشّعب وخلاصة التّجارب ومحصول الخبرة ويحتوي على معنى يصيب التّجربة والفكرة في الصميم.

3.المرأة في الأمثال الشّعبية معاني ورموز دلالاتها:

تُظهر الأمثال الشّعبية الجزائرية صورا متنوّعة للمرأة، كربّة بيت، ومربيّة أجيال، وأسوة للصّبر والقوّة والتّجلّد أمام ظروف الحياة والحنكة والمهارة والفطنة والسلطة؛ حيث نلمس تجسيد الأمثال للمرأة الجزائرية في قمّة القوّة والذّكاء والحكمة والجمال؛ فالمرأة في هذه الأمثال غالبا ما تتّصف بأنّها رمز "للعطاء" و"القوّة" و"الحكمة" و"القدرة على حلّ المشكلات" والعديد من الصّفات الإيجابية، ومن المعروف أنّ أغلب هذه الأمثال تُبرز دور المرأة الفعّال في المجتمع الجزائري، حيث تعتبر ها أحد أهم ركائزه وتسمها بالحكمة والقوّة والتّوازن في الأسرة والمجتمع، وتشمل الأمثال المضروبة دلالات على فوقية واستعلاء المرأة في صفات محددة تطلق هذه الأمثال لتميز المرأة بها؛ والتي تمثّل الانفراد والتميّز، والحكمة والسّلطة، والفحولة والرّيادة والمشاركة الفعالة في شؤون الأسرة والمجتمع والحنكة والمكر؛ وسنلجأ إلى ذكر بعض هذه الأمثال وتصنيف البعض منها وفق حقول دلالية، وشرح معانيها وتوضيح مناسبة ضربها؛ ومفاهيم تعارف المجتمع على مناسبة قولها.

كما أنّ بعض الأمثال تضرب دلالة عن التّعبير عن صفات تميز المرأة عن الرّجل حيث تبدو كأنّها خاضعة تحت سلطته وفي كنفه منبوذة؛ لكنّ المتأمل في معانيها يدرك أنّها ميزة مدح وليست هجاء، فرغم أنّ بعض الأمثال الشّعبية الجزائرية تُبرز صورة مُتضاربة عن المرأة والتي قد تُفهم بسطحية عند البعض على أنّها توحي بضعفها وانقيادها أمام الرّجل، لكنّها في الواقع تميّزها وتستعلي بها من درجة المساواة مع الرّجل نحو درجة اللامساواة بفوقية عدلا لها؛ ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

المثل 01: "المرا كيما الفرخ ما تقدر توقف على رجليها": ظاهر هذا المثل أنّه يصوّر الضّعف والتّبعية للمرأة وربط وجودها بالرّجل واعتمادها عليه؛ لكن باطنها يوحي بقوامة الرجل ورقّة المرأة كون تشبيهها بالعصفور الصغير؛ فالعصفور رغم صغره سيكبر ويصبح له شأن كبير، هكذا يكون معنى المثل في ضعف المرأة ثم قوّتها.

المثل02: "المرا مثل الما تتخبا فالطاس بالتغطية": يشير هذا المثل ظاهرا إلى ضرورة السّيطرة والتحكّم في المرأة، وعدم منحها حرية الحركة والتّصرف باستقلالية، لكنه في المقابل دليل على الحثّ للحفاظ عليها كمكنون غال، ودلالة على السّتر والعفّة؛ حيث يصنفّها بأهمية الماء، ويحثّ على الاهتمام بها، والاحتفاظ بها جيدا.

المثل03: "الراجل مَاشِي في الطريق والمرا تَسْكُت": يُظهر هذا المثل دور المرأة المتمثّل في الصّمت وطاعة الزّوج، وأنّها يُفترض أن لا تجادل أو تعارضه في أموره، لكنّه أيضا في المقابل يحثّها على احترام وطاعة زوجها وهذا ما جاء به ديننا الحنيف؛ فهي لا تُعامل بوصف ضعفها وتمنح السّلطة التّامة للرجل حيث تُفرض عليها قواعد صارمة تُحدّ من حرية وتصرفاتها، بل جاءت هذه الأمثال مدعّمة لتعاليم الدّين الإسلامي متماشية معه في منح القوامة للرّجل، وجعل المرأة داعمة له.

المثل 04:"اللي ما عندهاش ولد ما تْقدّرْش تْقُول للولد: وَلْدِي": يُظهر هذا المثل صلابة المرأة في شأن العائلة، حيث لا تُعتبر الأم كاملة إلا بوجود ولد؛ في المقال تصبح سيدة بإنجاب الأولاد، وقد يراد به عكس المعنى.

المثل05: "الراجل في دارو حاكم والمرا في دارها ملكة": يشير هذا المثل إلى قوّة المرأة في مجال السّلطة في مملكة البيت، وتحكّمها في الشؤون المنزلية وإدارة الأسرة؛ فهو متوافق مع ما نصّ عليه الحديث الشّريف أنّها راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها.

المثل06: "المرا مثل الحلوة لا تاكل حتى تُذوق": يُظهر هذا المثل قيمة المرأة وأنّها ليست مجرد شيء مُتاح لأي شخص، بل لها قيمتها ومكانتها الخاصة كالدّر المكنون.

والأمثال الشّعبية هي مرآة عاكسة لثقافة المجتمع وقيمه، وفي الجزائر تُظهر بعض الأمثال الشّعبية صورة المرأة باعتبارها شخصية تتمتّع بسلطة وقوّة وحكمّ وتتفوّق على الرّجل في مجالات مختلفة من الحياة، وتظهر قوّتها وتأثيرها ومُشاركتها في شؤون الحياة العامة، وتأثيرها على المجتمع، فمن الأمثلة على ذلك ما يلي:

المثل 01:"حرصتْ على تقَطِيع لسانهَا باه تقدِر تحْكم دارهَا": يبرز هنا أنّ المرأة تحرص على "تقطِيع لسانِهَا" بمعنى (السيطرة على لسانها) لِكي "تقَدر تحكِم دارَهَا" (تحكم منزلها)، وهذا يدلّ على أنّها مُدركة لأهميّة السّكوت والهدوء في الحكم والسّيطرة والمشاركة، وهي سيّدة القرار إن أمسكت لسانها عن ذكر أخبار بيتها وأهلها.

المثل02: "البِنت قَلبهَا كي الزجَاج": يُظهر هذا المثل هشاشة المرأة، لكنه في ذات الوقت يدل على أنّ المرأة رقيقة وجميلة، والزجاج رمز للجمال والأنوثة والشّفافية، وهذا يُظهر أنها مُهمّة في النّظر إلى جمالها وقدرتها على تحريك مجريات الأحداث وترصيع علاقاتها.

المثل 03: "الرجال داتها الويدان والدولة حكمتها النسوان": يجسّد هذا المثل الجزائري فكرة تفوّق المرأة في مجال السّياسة والعلم والحكم، حيث يدلّ على أنّ الرجال يهيمون في الخلاء والوديان، وشؤون الدولة أصبحت في يد النساء؛ وهذه من أبرز سمات العصر.

المثل 04: "إذا راحو الدواب سوّلو المحجوبات": يجسّد هذا المثل دور المرأة في معرفة أخبار القرية أو الريف وصحّة معلوماتها، وقدرتها على القيام ببعض المهام التي يفشل الرّجل في إنجازها، كما يشير إلى أنّ المرأة تتمتع

بقدرة فائقة على التحمّل والصّبر والتصرّف بذكاء في أصعب المواقف؛ وتُفسّر هذه المقولة بناءً على دور المرأة في مجتمعات الرّيف الجزائري كربّة أسرة، ورائدة في زراعة الأرض، ورعاية الماشية، وإدارة موارد الأسرة.

يقابله مثل يحمل المعنى نفسه "مشات للحمام جابت أخبار عام"[8].

المثل05: "المرا تَقْدر تَخلي الراجل يَشْريلها الْقَمَر": يجسّد هذا المثل قوة تأثير المرأة على الرّجل، وتمكّنها من إقناعه بأي طريقة؛ ويشير إلى أنّ المرأة تتمتع بموهبة فائقة في فنّ الإقناع والتّأثير على الشّخصية الرّجالية وإقناعها بتلبية رغباتها؛ ويفسّر هذا المثل من خلال المُعتقد الشعبي الذي يُشير إلى أنّ المرأة تمتلك أقوى الأسلحة في يد المرأة للتأثير على الرجل.

المثل 06: "الراجل يدّي والْمَرا تَقْرَع": يجسّد هذا المثل دور المرأة في السّيطرة على الأمور وإدارة الشؤون العائلية مع الرّجال بجانبها، ويشير إلى أنّ المرأة لا تُقَدّم اللّوم ولا تُنكّر الدّور الذي يُؤدّيه الرجال في الأسرة، لكنّها تُؤكد حضورها، وثقل قراراتها المساندة لقرارات الرجال، وتقديم المشورة في مختلف الأمور الّتي تُؤثّر على مستقبل الأسرة؛ ويفسّر هذا المثل المُعتقد الشّعبي الذي يُشير إلى أنّ المرأة تُحافظ على التّوازن والحكمة في إدارة الشؤون العائلية.

المثل07: "مرا ونص" أي معناه امرأة ونصف؛ ويدل هذا المثل على الفحولة للمرأة.

المثل 08: "مرا بعشر رجال" ومعناه امرأة تساوي في فحولتها وشهامتها، أو جرأتها أو شدّة تحمّلها، وصبرها ما يقابل صبر وقوّة عشر رجال؛ أي المرأة التي تفوق في فحولتها الرجال.

المثل 09: "النسا إذا تحزمت والخيل إذا تلجمت" دلالة على تشبيه فحولة المرأة بالخيل المرّوضة؛ والحزام أو الحزامة خيط تربط به المرأة الجزائرية خصرها عند مباشرتها لعملها أو الرقص...

المثل 10: "النسا كيدهم ما يتنسا" دلالة على قوّة الرّد عند المرأة، والطّبع الشّرس في الرّد عند المرأة، وشدة الكيد.

المثل 11: "مزين النسا بضحكات -لوكان يدوموا- الحوت في الما يعوم وهوما بلا ما يعومو" معناه لا تغتر بضحكة وابتسامة المرأة فهي تجيد السّباحة بلا ماء، وهو دلالة على الحنكة والمكر، ويذكر أيضا مثل مشابه له وهو "بعض النسا كلمتهم ما تتنسى ومرقتهم ما تتحسى"[9]؛ وهو دلالة على شرّ كلامهن، وقوّة أثر كلمات النّساء وما يطبخنه من مقالب، وما يحكنه من أمور.

المثل 12: "اللي معندوش البنات معرفوش كيفاه مات": كناية عن حنان البنت، و أهميّة وجودها بالنّسبة للعائلة، و هي أحنّ من الذّكر، فالرّسول صلى الله عليه و سلّم وصف البنات بأنّهنّ المؤنسات الغاليات، كما أنّه من لم يرزق بالبنات لم يعرف مقدار الحبّ، والحنان، والتّجارب المختلفة التي تأتي مع تربية البنات، ولم يذق حلاوة العلاقة الخاصة التي تربط الأهل بابنتهم. غياب البنات في حياة الشخص قد يعني فقدان هذه التّجربة الجميلة.

المثل 13: "لي معندها بنية تتدفن وهي حية وتبقى بلا ذرية": دلالة على عمق البهجة التي تضيفها وجود البنت في العائلة، فهي التي تحنّ على الأم، و تساعدها في أشغال و حمل هموم البيت معها، و لا يعرف قيمة البنات إلا من أستند عليها، و تعكس مشاعر الحزن والأسى التي قد تشعر بها بعض الأمهات لعدم إنجابهن بنتًا، لما

للبنات من دور عاطفي واجتماعي كبير في حياة العائلة. يُقال إنّ من ليس لديها بنت قد تشعر وكأنّها فقدت جزءًا مهمًا من حياتها، لأنّها لا تملك هذا السّند الحنون الّذي يشاركها مشاعرها، ويقف إلى جانبها في مواقف الحياة المختلفة. البنت تُعتبر الذرية التي تمدّ الأهل بالحبّ والرّاحة، مما يجعل غيابها بالنّسبة للبعض شعورًا يشبه فقدان شيء عزيز.

المثل 14: "لي خطاتو أمو طال همو ولا يحط حجرة باردة في فمو": فالأم هي حجر الأساس في البيت و التي تضمن له الديمومة و السّلامة، فبموتها تتشتّت الأسرة، و تنهار و تفقد طعم الحياة الأمن و الأمان و الحبّ، و العطاء، وأنه من لم ينل نصيبه من حنان الأم وعنايتها سيعيش حياة مليئة بالمشقّة والتّعب، ولن يجد الراحة والطمأنينة. فالأم هي مصدر السّند والدّعم العاطفي، وغياب هذا الحنان أو فقدان اهتمام الأم يؤثّر على الشّخص طوال حياته، حيث يظلّ يحمل همومه ولا يجد السكينة.

المثل 15: "إذا حبوك النّسا بات على الكسا وإذا كرهوك النسا بات على العصا"؛ يطلق دلالة على السّلطة، والتحكم في زمام الأمور.

المثل 16: "الرجال تهد الجبال والنسا تهد الرجال"؛ هذا المثل له دلالة على التحكم في زمام الأمور، والتحكّم في بعض الشّؤون مع الرجال.

المثل 18: "إذا حلفوا فيك الرجال بات راقد وإذا حلفوا فيك النسا بات قاعد" يوحي هذا المثل على الهيمنة والسّيطرة وعدم التّراجع في القرارات، يوافق المثل القائل "النسا إذا حبوا يدبروا وإذا كرهوا يخبروا"[10].

المثل 19: "لا تغرك شمس الشتا ولا تغرك ضحكة النّسا" يدل على المكر والحنكة في التعامل.

استنتاجات:

- يُجبِرُنَا المثل الجزائرِي علَى التفكِير فِي نَظرة المجتَمع لِلمرأة، وَتحوّل هذِه النّظْرة مَع تطوّر الزمَن وتغَيّر العَادَات وَالتقَالِيد.
- تُظهر هذه الأمثال الجزائرية صورة المرأة بِصِفة قوية وفاعلة في المجتمع الجزائري، وتُجسّد قوّة تأثير المرأة على الرّجل، وقدرتها على القيام بالمهام الصعبة وإدارة الشؤون العائلية وإقناع الرجل. ومع ذلك يُمكن ملاحظة أنّ هذه الأمثال تُظهر نوعًا من التّعبير عن السّيطرة والفوقية للمرأة، وقد أثارت هذه التّعبيرات جدلاً حول دور المرأة في المجتمع الجزائري، والعلاقة بين الجنسين.
- وتُظهر أنّ المرأة تُلعب دورًا هامًا في تحديد مسار العلاقات الاجتماعية، وتُؤكّد على أهميّة تقدير قوّتها وتأثيرها في المجتمع الجزائري، وَحُكْمِهَا وتسييرها لشؤون دارِهَا، بينما تُظهِرُهَا في بعضِهَا الآخر كَكَائِن ضَعِيف وَمُقتَصِر دَوْرِهَا على الإنجاب وخدمة العَائِلَة وَالبَيْت وهي أسمى أدوارها.
- تُظهر هذه الأمثال التبايُن الموجود في المجتمع الجَزائرِي المؤثّر عَلى المرأة، وتأَثِير الحضارة العربيّة الإسلامية التي ترى أن دور المرأة فعال في الْعَائِلَةْ والبيت.
- من خلال دِرَاسَة الأمْثَال الجَزائِرية يمكِن تسلِيط الضَّوء على تحوّل مَفهُوم سُلطَة المرأة عبر العصور، وتطوّر نظرة المجتمعات الجزائرية للمرأة، واكتسابها مكانة ورفعة بعد الإسلام لم تملكها قبله، كما نلاحظ وجود تأثير طفيف لبعض الحضارات والثّقافات على هذا المفهوم.

4.خاتمة:

يمكن القول أنّ الأمثال الشّعبية الجزائرية تُظهر صورة متناسقة للمرأة تتماشى مع تعاليم الدّين الإسلامي وقيم المجتمع، حيث تُبرز قوتها وحكمتها في بعض الأحيان، بينما تُظهر رقّتها وتبعيّتها للرّجل في أحيان أخرى، وما كان استعلاؤها عليه احتقارا له، بل مساندة له أو دعما أو تفردا بخصوصيتها الأنثويّة، ومكانة في المجتمع، والدّور الذي تقوم به وسط الأسرة، إذ تُعدّ الأمثال من أهمّ سبل التّعبير عن الموروث الفكري، والعادات، وثقافة وقيم المجتمعات والشّعوب؛ فكانت الأمثال الجزائرية خير سفير للقيم والعادات والتّقاليد المغروسة والمتوارثة والمتأصّلة في المجتمع الجزائري عبر العصور، وقالب نقل لنا نظرة المجتمع الجزائري للمرأة، حيث حظيت بقدر وافر من الأمثال باختلاف معانيها ودلالاتها وألفاظها تماشيا مع اللّهجات المنتشرة بين الشّرق والغرب والشّمال والجنوب .

وتُعد الأمثال الشّعبية الجزائرية المحكية عن المرأة ذات بعد ابستيمولوجي متضمّن مبادئ وقيم ومآثر متماشية مع تعاليم الدّين، والقيم والأخلاق الحسنة، ومدعّمة لها، ولا تخرج عن حيز الفطرة السّليمة، ومكانة المرأة في المجتمعات. في حين تعد الأمثال التي تحمل معاني استعلاء وفوقية المرأة من أكثر المواضيع المثيرة للجدل، والفكر، وتضارب الآراء، وذلك كون هذه الأمثال تتضمّن في محتواها أفكار وقيم جديدة صاغها المجتمع في قوالب الأمثال، الّتي فرضت وجودها بالتّداول وسط الجماعة اللغوية والشّعبية، وكونها تثير أسئلة مهمّة حول أهميّة المرأة ودورها في المجتمع، ومكانتها عبر تواتر العصور، وتدوينها في سجلات التّاريخ، والثّقافة الجزائرية، ودورها ضمن المجتمع.

.

الهوامش

[1]- محمود ذهني، الأدب الشعبي العربي (مفهومه ومضمونه مطبوعات)جامعة القاهرة، الخرطوم، السودان، 1972، ص186.

[2]- محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي(دراسة تحليلية)، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1988، ص31.

[3]- محمود خليل أبو دف، القيم المتضمنة في الأمثال الشعبية الفلسطينية (دراسة تحليلية من منظور إسلامي)، ورقة عمل مقدمة في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، كلية التربية والفنون بجامعة اليرموك، الأردن27-29 سبتمبر1999، ص02.

[4]- محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي(دراسة تحليلية)، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1988، ص07.

[5] ـ عبد الملك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982، ص139.

[6]- الفارابي، ديوان الأدب، ج**1** ،ص**74** .

[7]- الميداني، مجمع الأمثال، ص**13** .

[8]بوتارن، قادة، الأمثال الشعبية الجزائرية؛ بالأمثال يتضح المقال، تر: عبد الرحمان حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 87/02،(د ت) ص146.

[9] بوتارن، قادة، الأمثال الشعبية الجزائرية؛ بالأمثال يتضح المقال،(د ت)، ص144.

[10] بوتارن، قادة، الأمثال الشعبية الجزائرية؛ بالأمثال يتضح المقال،(د ت)، ص143.

المصادر والمراجع:

1- الفارابي، ديوان الأدب، ج 01، (د.ت).

2- الميداني أبي فضل، مجمع الأمثال، منشورات د ار مكتبة الحياة، بيرو ت -لبنان، م ج**1** ،ط02، (د.ت).

3- بوتارن، قادة، الأمثال الشعبية الجزائرية؛ بالأمثال يتضح المقال، تر: عبد الرحمان حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 87/02، (د ت).

4- محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي(دراسة تحليلية)، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1988.

5- محمود ذهني، الأدب الشعبي العربي (مفهومه ومضمونه مطبوعات)جامعة القاهرة، الخرطوم، السودان، 1972.

6- عبد الملك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982

الندوات:

- محمود خليل أبو دف، القيم المتضمنة في الأمثال الشعبية الفلسطينية (دراسة تحليلية من منظور إسلامي)، ورقة عمل مقدمة في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، كلية التربية والفنون بجامعة اليرموك، الأردن27-29 سبتمبر 1999.